دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: إيقاع الفواصل المنفردة : دراسة دلالية
المصدر: مجلة كلية دار العلوم
الناشر: جامعة القاهرة - كلية دار العلوم
المؤلف الرئيسي: بريك، محروس السيد
المجلد/العدد: ع 65
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2012
الشهر: أكتوبر
الصفحات: 173 - 215
رقم MD: 222874
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: AraBase
مواضيع: القرآن الكريم، علم الأصوات، العروض والقوافي، البديع، الفواصل في القرآن
رابط: http://search.mandumah.com/Record/222874

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

إيقاع الفواصل المنفردة
(دراسة دلالية)

د. محروس السيد بُريِّـك(*)

*ملخص البحث:

لم يُعنَ كثيرٌ من الباحثين بـ(الفاصلة المنفردة) ودلالاتها، وبخاصة من تعرض منهم للفواصل القرآنية، خلا بعض الإشارات الدلالية لبعض الفواصل المنفردة؛ نحو حديثهم عن دلالة فاصلة الثاء في آخر سورة الضحى. والناظر في تلك المواضع القليلة التي تناولوها يجد أنهم يقصرون الفاصلة المنفردة – وإن لم ينصوا على هذا المصطلح – على ما جاء مخالفًا في حرف الروي (حرف الفاصلة) فحسب.

ولمَّا كان الانفراد في الفاصلة لا يتحقق بالعدول إلى الروي المنفرد فحسب، انصرف البحث إلى بيان مفهوم الفاصلة المنفردة، وأنواع ذلك الانفراد؛ من خلال رصد تغيُّر النمط المقطعي للفواصل أو اتحاد النمط المقطعي مع تغير التمثيل الصوتي للمنطوق، والوقوف على الدلالات الكامنة خلف ذلك التحول المفاجئ في إيقاع الفواصل، أو الإشارة إلى إيحاءاته الموسيقية على أقل تقدير؛ و(الإيحاء) ضرب من (الدلالة) إلا أنه أخص منها. ولمّا كان للسياق أثر كبير في تحديد الدلالة كان لا بد من الاستئناس بالسياق المقالي للآيات السابقة واللاحقة، والسياق المقامي المتمثل في أسباب النزول وأحوال المخاطبين ونحو ذلك.

(*) مدرس بقسم النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

***مدخل :**

يرى فريق من النحويين والمفسرين أن للفواصل القرآنية قيمةً جماليةً إيقاعيةً، وأنها لا تدل بالضرورة على معنى؛ ويعد الفراء أول من أشار إلى تلك القيمة البديعية للفاصلة؛ إذ ينص على ذلك في غير موضع من كتابه (معاني القرآن)، فهو يرى أن في قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ "ألقيت الكاف، كما يقول: قد أعطيتك وأحسنتُ ، ومعناه: أحسنت إليك، فتكتفى بالكاف الأولى من إعادة الأخرى، ولأن رءوس الآيات بالياء"[١] ، ويحكي السيوطي عن شمس الدين بن الصائغ قوله: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول. قال (يعني ابن الصائغ): وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي **مراعاة للمناسبة** فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما" ثم فصل القول في تلك الأحكام[٢]. وتابع الزركشيُّ ابنَ الصائغ فأورد اثني عشر حكمًا من تلك الأحكام مرجعًا إياها إلى " تساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل"[٣].

ولعل أصدق تعبير عن هذا الرأي قول الدكتور تمام حسان: "الفاصلة القرآنية لا تدل بالضرورة على تمام المعنى؛ ومن ثم تصبح وظيفتها في القرآن غير نحوية ولا دلالية. فإذا لم يكن للفاصلة غرض نحوي ولا دلالي، فماذا

---

(١) معاني القرآن، الفراء ج٣ ص٢٧٣-٢٧٤ (عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد، ج٥ص١٧٩٤- ١٨٠٤ (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، د. ت.).

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ص٦١ (مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م).

يكون الغرض منها إذًا؟ أغلب الظن أن الغرض منها جمالي صرف وإن توافقت أحيانا مع المعنى. فالذي يبدو للوهلة الأولى عند النظر إلى الفاصلة أنها قيمة صوتية جمالية ترتبط أشد الارتباط بموسيقى النص القرآني"[١].

ويرى فريق آخر أن "جميع الفواصل في القرآن لم تقتصر على مراعاة حسن النظم فقط، وإنما راعت مع ذلك – وقبله– جانب المعنى، فحققت بذلك إيقاعها الفريد ، وبلاغتها العليا في مطابقتها لمضمون ما قبلها"[٢] ومن هؤلاء أدباء ولغويون وبلاغيون معاصرون؛ منهم –على سبيل المثال– عائشة بنت الشاطئ في بحث قيم لها عن (السجع ورعاية الفواصل) انتهت فيه بعد التناول التطبيقي لعدد من الفواصل القرآنية إلى "أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها –في سياقه– دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه. قد نتدبره فنهتدي إلى سره البياني ، وقد يغيب عنا فنُقِرُّ بالقصور عن إدراكه. ولا يُظَنّ بي – وما زال الكلام لبنت الشاطئ– أني أهون من قيمة التآلف اللفظي والإيقاع الصوتي لهذا النسق الباهر الذي نجتلي فيه فنية البلاغة...فالبلاغة من حيث هي فن القول، لا تفصل بين جوهر المعنى وبين أسلوب أدائه"[٣].

وممن اهتم بجلاء الجانب الدلالي في فواصل القرآن الكريم محمد الحسناوي في كتابه: (الفاصلة في القرآن الكريم)؛ حيث تحدث عن دلالات

---

(١) البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان، ج١ ص٢٠١-٢٠٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م).

(٢) دراسات لغوية في القرآن الكريم، د. أحمد مختار عمر، ص٧٨ (عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م).

(٣) الإعجاز البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت الشاطئ، ص٢٥٨ (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م).

اطراد الفاصلة، ودلالات التغير في الفواصل؛ وقسَّمها إلى دلالات جمالية وفكرية وفنية موضوعية وعقدية[١].

وممن نهج هذا النهج الدكتور أحمد مختار عمر في بحث له بعنوان: (الفاصلة القرآنية بين ملاءمة اللفظ ومراعاة المعنى)[٢] ، والدكتور عبد الجواد طبق في دراسة له بعنوان: (دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية) انتهى فيها إلى أن رعاية الفاصلة "ليست غرضًا ذاتيًّا مستقلاً، وإنما هناك أغراض أصلية يُقصَد إليها أولاً سواءً تحققت هذه الرعاية أم لم تتحقق"[٣]. وكذلك دراسة بعنوان: (فواصل الآيات القرآنية) للدكتور كمال الدين المرسي تناول فيها بعض أسرار الإعجاز في الفواصل على المستوى اللغوي والصوتي والدلالي[٤]. وكذلك دراسة بعنوان: (فواصل الآيات القرآنية: دراسة بلاغية دلالية) للدكتور السيد خضر، وهي دراسة جمعت بين شقي التنظير والتطبيق على فواصل سورتي البقرة والإسراء[٥].

ويعد بحثي هذا امتدادًا لتلك الجهود التطبيقية للفريق الثاني الذي يرى عدم قصر فواصل القرآن الكريم على مجرد مراعاة الفاصلة وتناسب الإيقاع،

---

(١) انظر: الفاصلة في القرآن الكريم، محمد الحسناوي، ص ١٧٥-٢٩٤ (دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م).

(٢) انظر: دراسات لغوية في القرآن الكريم، ص٧٣-٩٨.

(٣) دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، د. عبد الجواد محمد طبق، ص٢٧٢ (دار الأرقم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م).

(٤) انظر: فواصل الآيات القرآنية، د. كمال الدين المرسي (المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م).

(٥) انظر: فواصل الآيات القرآنية: دراسة بلاغية دلالية، د. السيد خضر (مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م).

إنما يؤمن بتحقق معنى دلالي يكمن خلف اختيار فاصلة بعينها؛ وذلك من خلال جلاء تلك المعاني في الفواصل المنفردة في القرآن الكريم، أو بيان الإيحاءات الدلالية للتحول الإيقاعي على أقل تقدير، والإيحاء ضرب من الدلالة إلا أنه "منزلة غير مباشرة من منازل المعنى، ويتوصل إليه ربما بعد الوقوف على المعنى المباشر، وربما كان الوقوف عليه بعد كدٍّ من النظر والتأمل"(١)، والإيحاء يتحقق على المستوى الصوتي والمعجمي والتركيبي؛ فعلى المستوى الصوتي يوحي تكرار صوتَي الكاف والباء في قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ (الشعراء: آية ٩٤) بتكرار الحدث من أجل زيادة الإيلام(٢). ويُعد البحث في دلالات أو إيحاءات الفواصل المنفردة بحثًا في الدلالة على المستوى الصوتي، وللسياق أثر في بيان ذلك كله.

*** مفهوم الفاصلة المنفردة:**

نعني بالفاصلة المنفردة أن ترد فاصلة ليس لها نظير في بقية السورة من حيث: الإطلاق والتقييد، أو حرف الروي (حرف الفاصلة)، أو الردف، أو التأسيس. وقد يتحقق انفراد الفاصلة بأحد تلك الأنواع أو باجتماع بعضها في فاصلة واحدة.

ولو وقع هذا الانفراد في قافية الشعر لعُدَّ عيبًا، إلا أنه لا يُعد عيبًا في الفاصلة؛ ذلك لأنه وإن كانت "فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافية

---

(١) اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير استيتية، ص٢٨٣ (عالم الكتاب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).

(٢) السابق: ص٢٨٧.

البيت في الشعر"[1] إلا أن "ما يُذكر من عيوب القافية من اختلاف الحذو[2] والإشباع والتوجيه، فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة ... من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة؛ ومن ثم ترى (ترجعون) مع (عليم) و(الميعاد) مع (الثواب) و(الطارق) مع (الثاقب)"[3].

*** الانفراد بتقييد الفاصلة المطلقة:**

يتحقق الانفراد الإيقاعي للفاصلة بورودها مقيدة على اعتبار أن "مبنى الفواصل على الوقف ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون"[4]، وذلك في السور التي وردت آياتها جميعها موصولة بأصوات الوصل المعروفة (الألف أو الواو أو الياء أو الهاء).

وفي هذا النوع من الانفراد يتغير النمط المقطعي من المقطع المفتوح المنتهي بمتحرك (ص ح ح) إلى المقطع المغلق المنتهي بصامت (ص ح ص) أو (ص ح ح ص).

إن أصحاب الرأي الأول يرون أن إلحاق ألف الإطلاق في فواصل الآيات في قوله تعالى في سورة الأحزاب:

- ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب:١٠).

---

(١) القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، الشيخ رضوان المخللاتي، تحقيق: عبد الرازق إبراهيم موسى، ص١٢٦ (طبعة وزارة الإعلام، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

(٢) في النسخة المطبوعة (الحد) والصواب ما أثبتناه.

(٣) السابق، الصفحة نفسها. وانظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٥ ص١٧٨٥.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ج١ص٦٩، وانظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٥ ص١٨٢٤.

- ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ (الأحزاب:٦٦).
- ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب:٦٧).

غرضه "تساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل"[١]؛ إذ إن "قوما من العرب يجعلون أواخر القوافي إذا سكتوا عليها على مثل حالها إذا وصلوها؛ وهم أهل الحجاز. وجميع العرب إذا ترنموا في القوافي أثبتوا في أواخرها الياء والواو والألف"[٢].

والحق أنه لو كانت ألف الإطلاق في هذه الآيات لمجرد تساوي المقاطع وتناسب الفواصل للحقت ألف الإطلاق فاصلة الآية الرابعة في السورة نفسها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب:٤)، وبخاصة أن كلمة الفاصلة هنا هي الكلمة نفسها التي لحقتها الألف في الآية السابعة والستين. لا شك أن هناك أغراضًا دلالية وراء كلا الأمرين: ورود الفاصلة مقيدة أو مطلقة بالألف أو الواو أو الياء أو الهاء؛ وبخاصة إذا ما ورد التقييد والإطلاق في سورة واحدة.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ج١ص٦١ وانظر: روح المعاني، الألوسي ج١٦ص٢٣٧ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.)، و: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج١٦ص٢٧١ (دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م) و: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ج١ص٢٠٠.

(٢) معاني القرآن للأخفش، تحقيق: د. هدى قراعة، ج١ص٧٩ (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م).

إن النظر المجمل إلى تعريف الفاصلة على أنها "قرينة السجع في النثر وقافية البيت في الشعر"[1] كان سببا رئيسا في محاولة رد أمثال تلك الفواصل إلى مراعاة التناسب الإيقاعي كما هو الحال في الشعر والنثر المسجوع؛ لذا نظر أصحاب هذا الرأي إلى حروف الوصل في فواصل القرآن نظرَتَهم إلى حروف الوصل في الشعر، على اعتبار أن الوصل "قرين الروي غير المقيد؛ لأن تقييد الروي معناه الصمت عنده؛ ومن ثم فإن إطلاق الروي جريان به إلى الوصل، وما دام الوصل تتمة للروي فاللزوم فيه بداهة متحقق ما دمنا قد التزمنا حد الروي"[2]. والحق أن هذا اللزوم متحقق في كثير من سور القرآن ، إلا أن هناك مواضع عدل القرآن فيها عن الفاصلة المطلقة -في السورة الواحدة بل في القصة الواحدة- إلى الفاصلة المقيدة، والعكس. ولا شك أن لهذا العدول الإيقاعي دلالات أو إيحاءات يحددها سياق الآيات السابقة واللاحقة؛ إذ للأصوات آثار ينصرف علم الأصوات السمعي إلى بيان وقعها "في أذن السامع، من الناحيتين العضوية والنفسية"[3].

ففي قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب:١٠). جاءت الفاصلة موصولة بالألف على هيئة المقطع المفتوح المتوسط الطول (نَا: ص ح ح) لا من أجل أن يتساوى مقطع هذه الفاصلة مع

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج١ص٣٤١ (مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.)، وانظر: القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، الشيخ رضوان المخللاتي، ص١٢٤.

(٢) القافية تاج الإيقاع الشعري، د. أحمد كشك، ص٦٤-٦٥ (دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٤م).

(٣) علم الأصوات، د. كمال بشر، ص٨ (دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م).

بقية مقاطع فواصل السورة إنما لغرض دلالي؛ إذ إنّ في مَدّ الصوت بالألف عند الوقف إشارةً إلى إطلاق تلك الظنون والذهاب بها كلَّ مذهب، ولِمَ لا وقد جاءهم الأحزاب من كل حَدَبٍ وصوب وبلغت القلوب الحناجر. ويؤكد ذلك ورود المصدر جمعًا، و"المصادر تجمع إذا اختلفت أجناسها"(١)؛ إذ بين المسلمين منافقون ظنوا "أن المسلمين يُستأصلون وظن المؤمنون أنهم يُنصرون"(٢)، "فقوله: (الظُّنُونَا) أفاد أن فيهم من أخطأ الظن ، ولو قال تظنون بالله ظناً ما كان يفيد هذا"(٣). إن هذا السياق ناسبه الإتيان بألف الوصل لتؤكد إطلاق تلك الظنون المتباينة.

وفي قوله تعالى في آخر سورة الأحزاب: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا. وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب: ٦٦-٦٧) نجد أن السياق يرشح إتيان الفاصلة في الآيتين موصولة بالألف على هيئة المقطع المفتوح المتوسط الطول (لَا: ص ح ح) لا من أجل أن تتساوى المقاطع وتتناسب نهايات الفواصل بل لغرض معنوي؛ إذ الكلام على لسان الكافرين وهم يصطرخون في نار جهنم، ويمدون أصواتهم بالعويل، نادمين – ولاتَ ساعةَ مندمٍ– على عدم اتباع الرسول، وطاعة سادتهم الذين زينوا لهم الباطل فأضلوهم سبيل الحق. ففي زيادة الألف إطلاقٌ للصوت حكايةً لمد أصواتهم بالاصطراخ والعويل، وتجسيدًا للمشهد وكأننا نبصرهم يتقلبون في نار جهنم ونسمع صراخهم وبكاءهم.

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ج٧ص٤٢٠ (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، ج١٤ص١١٤(دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج٢٥ص١٦١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م).

أما في قوله تعالى في سورة الأحزاب نفسها: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾(الأحزاب: ٤) وقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (الفرقان:١٧) جاءت الفاصلة غير موصولة بالألف على هيئة المقطع الطويل المغلق (بِيل: ص ح ح ص) في حين أن آياتِ السورتين جميعَها – عدا هاتين الآيتين – جاءت موصولة بالألف على هيئة المقطع المفتوح المتوسط الطول (ص ح ح)، ولو كان تساوي المقاطع وتناسب الفواصل هو الغرض الأوحد للحقت ألف الوصل هاتين الفاصلتين، كما لحقتها في آية سورة الأحزاب نفسها في قوله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب:٦٧). وكذلك الأمر في سورة الفرقان؛ إذ وردت كلمة (سبيلا) نكرة موصولة بالألف أربع مرات في السورة نفسها هي قوله تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٧) ، وقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان:٣٤) ، وقوله عز من قائل: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٢) ، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤) . لكنه لما كان المعنى هو المقصود الأول للقرآن وردت كلمة (السبيل) في هاتين الآيتين معرفة بالألف واللام؛ لأن سبيل الحق سبيل واحد معروف، ولا سبيل غيره؛ إنه ذلك السبيل الذي يهدي إليه الله عز وجل من يشاء من عباده ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤)، أما سبُل الضلال فكثيرة متشعبة لا تفضي بصاحبها إلا إلى الضلال. فلما كان سبيل الحق يخالف تلك السبل جاءت الفاصلة مخالفة لتلك السبل إيقاعيا – في سورتي الفرقان والأحزاب – لتتأكد المفارقة بين سبيل الحق وسبل الضلال. ولم تدخل ألف الوصل في (السبيل) كما دخلت في (السبيلا) في آخر سورة الأحزاب لأن السياق هناك سياق خاص

هو سياق مد الصوت بالعويل والاصطراخ في جهنم كما أوضحنا، ولألف الوصل فيه دلالة خاصة تتفق مع ذلك السياق.

وفي قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ (المدثر ١١-١٧) عُدل في قوله عز وجل : {ثم يطمعُ أن أزيدَ} من الإطلاق إلى التقييد، على الرغم من أن الفعل منصوب بـــ(أن) ، مما يجعل ورود ألف الوصل له ما يبرره؛ لكن الفاصلة جاءت مقيدة غير موصولة بالألف. فهذا الكافر وهو الوليد بن المغيرة "يطمع بعد هذا كله أن أزيده في المال والولد. وقال الحسن وغيره : أي ثم يطمع أن أدخله الجنة ، وكان الوليد يقول : إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي ؛ فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له : {كَلَّا} أي لست أزيده"[١]، "والكافر لا يستحق المزيد"[٢] وفي {كَلَّا} "ردع وزجر عن طمعه الفارغ، وقطع لرجائه الخائب، أي: لا نجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النِّعم، فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه، وانتكاس، حتى هلك"[٣].

إن هذا القطع لرجائه ونقصان ماله ناسبه أن تأتي الفاصلة في قوله تعالى (أن أزيد) منفردةً عن غيرها من فواصل ذلك الجزء من السورة؛ إذ جاءت على هيئة المقطع الطويل المغلق (زِيد: ص ح ح ص) ؛ وبذلك يتناسب نقصان ماله وجاهه مع هذا الإيقاع المغلق المنتهي بالصامت. كما أن ردعه وزجره عن طمعه ناسبه أن يُعدل عن المقطع المتوسط المفتوح (دَا: ص ح ح)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٩ص٧٢.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٨ص٣٦٥.

(٣) البحر المديد، أحمد بن محمد بن عجيبة، ج٨ص١٧٥ (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م).

-إذ الروي (حرف الفاصلة) الدال الموصولة بالألف التي يوحي فيها الإطلاق الصوتي بإطلاق العطاء فيما مضى (مالا ممدودا وبنين شهودا...) – إلى ذلك المقطع الطويل المغلق لكي يوقف على حرف الروي (الدال) بالسكون فيتحقق له شيء من الشدة والانفجار عند النطق وهو ما يُعرف بالقلقلة التي "لا تعدو أن تكون تحريكا خفيفا لا يدخل في إطار الصوت بالمعنى الاصطلاحي الموسوم بالفتحة أو الضمة أو الكسرة ، إنه في حقيقة الأمر مجرد إطلاق الهواء (release) بعد الوقفة الحادثة عند بداية النطق بالصوت الشديد المجهور ليحدث الانفجار، فيكتمل نطق هذا الصوت الشديد ويتحقق"[1]. إن ذلك العدول الإيقاعي بهبوط نغمة إيقاع هذه الفاصلة ثم صعود نغمة إيقاع الفواصل التالية مرة أخرى يوحي بالجزم في عدم الزيادة التي عهدها من قبل، وذلك الجزم والحسم أكده السياق اللغوي للآيات اللاحقة التي بدأت بـــ(كلا) زجرًا له، وأكده كذلك سياق حاله بعد نزول الآيات ؛ إذ ما زال في نقص من ماله وجاهه حتى هلك.

وفي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١) عُدل عن الفاصلة المطلقة بالألف في آيات السورة جميعها إلى الفاصلة المقيدة في هذه الآية فحسب؛ إذ الهيئة المقطعية لهذه الآية (صِير: ص ح ح ص) في حين أن بقية آيات السورة هيئتها المقطعية: (ص ح ح) نحو: (لا، رَا، مَا، فَا) في: (وكيلا، شكورا، أليما، لفيفا).

ومما لا شك فيه أن هذا العدول الإيقاعي يوحي بدلالة أو يرجح معنى دون آخر؛ إذ الأظهرُ أن الضميرين في قوله تعالى ﴿إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ "عائدان إلى النبي ﷺ وقاله بعض المفسرين ... ولكن جمهرة المفسرين على

(١) علم الأصوات، د. كمال بشر، ص٣٨٠.

أنه عائد إلى الله تعالى . ولعل احتماله للمعنيين مقصود ... وأيا ما كان فموقع (إنّ) التوكيد والتعليل كما يؤذن به فصل الجملة عما قبلها ، وهي إما تعليل لإسناد فعل (نريه) إلى فاعله ؛ وإما تعليل لتعليقه بمفعوله ، فيفيد أن تلك الإراءة من باب الحكمة ، وهي إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ، فهو من إيتاء الحكمة من هو أهلها . والتعليل على اعتبار مرجع الضمير إلى النبي أوقع ؛ إذ لا حاجة إلى تعليل إسناد فعل الله تعالى لأنه محقق معلوم . وإنما المحتاج للتعليل هو إعطاء تلك الإراءة العجيبة لمن شك المشركون في حصولها له ومن يحسبون أنه لا يطيقها مثلُه على أن الجملة مشتملة على صيغة قصر بتعريف المسند باللام وبضمير الفصل قصراً مؤكداً ، وهو قصر موصوف على صفة قصراً إضافياً للقلب ، أي هو المدرك لما سمعه وأبصره لا الكاذبُ ولا المتوهمُ كما زعم المشركون . وهذا القصر يؤيد عود الضمير إلى النبي لأنه المناسب للرد . ولا ينازع المشركون في أن الله سميع وبصير إلا على تأويل ذلك بأنه المُسمع والمبصِر لرسوله الذي كذبتموه، فيؤول إلى تنزيه الرسول عن الكذب والتوهم"[1] .

إن مفارقة هذه الآية لجميع آيات السورة إيقاعيا بورودها غير موصولة بالألف، على هيئة المقطع الطويل المغلق، في حين أن بقية آيات السورة كلها موصولة بالألف، على هيئة المقطع المتوسط المفتوح، هذه المفارقة ترجح كون المراد بـــ(السميع البصير) في هذه الآية هو النبي ﷺ ؛ إذ إن كلمة (بصيرا) وردت فاصلة نكرة موصولة بالألف ثلاث مرات في السورة نفسها؛ في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٧) وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣٠) وقوله عز من قائل في

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج١٥ ص٢٢.

آية أخرى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩٦). وكلها صفات لله تعالى كما يتضح من الآيات ، مضافا إليها صفة أخرى هي كونه تعالى خبيرا. إن هذا كله يؤكد أنه لما كان صاحب هذه الصفة في الآية الأولى هو النبي ﷺ ولما كان المشركون يكذبونه فيما سمع ورأى من آيات ربه الكبرى – جاء وصفه بالسمع والإبصار على جهة التعريف، ومن ثم لم يوصل بالألف ؛ إذ لا وجه لوصل الاسم المعرف بـ (ال) إلا في سياقات معينة منها سياق الاصطراخ في جهنم بمد الصوت بالكلام كما أوضحنا من قبل عند الحديث عن قوله تعالى في آخر سورة الأحزاب: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا. وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب: ٦٦-٦٧)، أو الدلالة على إطلاق الظنون كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب: ١٠). هذا فضلا عن أنه لما كانت الآية تتحدث عن أمر خارق للعادة جاءت مخالفة إيقاعيا لآيات السورة كلها ، في إشارة إلى أنه ينبغي أن تفهم في سياقها الخاص بها وهو كون الإسراء والمعراج معجزة لا تخضع لنواميس الكون.

إن هذا التأويل الذي يرجحه العدول الإيقاعي تؤكده أحاديث عدة تثبت للنبي ﷺ بصرا خارقا للعادة ، منها ما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ثوبان ﷺ أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا..."[1] ومنها ما رواه أحمد عن عَبِيدَة عن الْأَسْوَد بْن

(١) صحيح مسلم، ج٨ص١٧١ (دار الجيل ، بيروت، د. ت.)، و: سنن أبي داوود، ج٤ص١٥٧ (دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ت.) ، ورواية أبي داوود: (إن ربي ...). و: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ج٤ص٤٧٢ (دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت.).

قَيْسٍ عَنْ نُبَيْحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ فَقَدْتُ جَمَلِي لَيْلَةً فَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَشُدُّ لِعَائِشَةَ قَالَ فَقَالَ لِي: (مَا لَكَ يَا جَابِرُ؟) قَالَ قُلْتُ: فَقَدْتُ جَمَلِي أَوْ ذَهَبَ جَمَلِي فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ، قَالَ فَقَالَ لِي: (هَذَا جَمَلُكَ اذْهَبْ فَخُذْهُ) قَالَ: فَذَهَبْتُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِي فَلَمْ أَجِدْهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا وَجَدْتُهُ. قَالَ فَقَالَ لِي: (هَذَا جَمَلُكَ اذْهَبْ فَخُذْهُ)، قَالَ: فَذَهَبْتُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِي فَلَمْ أَجِدْهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُهُ. قَالَ فَقَالَ لِي: (عَلَى رِسْلِكَ) حَتَّى إِذَا فَرَغَ أَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَيْنَا الْجَمَلَ فَدَفَعَهُ إِلَيَّ قَالَ: (هَذَا جَمَلُكَ)..."[1].

إن كسر المألوف من نواميس الكون ناسبه كسر الإيقاع وانفراد الآية بعدم وصلها بالألف من بين آيات السورة كلها.

وفي قوله تعالى في نهاية الحديث عن قصة فرعون مع موسى بسورة طه: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (طه: ٧٨) نلحظ أن فواصل الآيات التي تحكي قصة فرعون وموسى -عليه السلام- جاءت جميعها - فيما عدا هذه الآية- على هيئة المقطع المتوسط الطويل المفتوح المنتهي بحركة طويلة (ص ح ح) كما في المقاطع الآتية على سبيل المثال لا الحصر:(نِي، لِي، رَا، سَى، شَى، غَى) من كلمات الفواصل الآتية: (لساني، قولي، أهلي،كثيرا، بصيرا، موسى، يخشى، يطغى)، حتى إذا ما وصلنا إلى نهاية القصة عدل القرآن - في فاصلة الآية التي تحكي نهاية فرعون وجنوده بغرقهم في اليم- إلى هيئة المقطع المتوسط الطويل المغلق (هُمْ: ص ح ص) في قوله (غشيهم)، ولو كان مراد القرآن مجرد مراعاة اطراد الفواصل -

(١) مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ج٢٣ص١٤٩ (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

وبخاصة في القصة الواحدة – لاستبدل بـ (غشيهم) (يغشى) أو ما إلى ذلك من مفردات، لتتوافق هذه الفاصلة مع بقية فواصل القصة إيقاعيًّا. لكنه لمـــّا كان القرآن يؤثر المعنى على تناسب الإيقاع، عدل في الآية التي تجسد نهاية القصة إلى ذلك المقطع المغلق المنتهي بصامت، فيما يشبه إسدال الستار في نهاية المشهد الختامي لذلك الصراع الطويل بين الحق والباطل. ولعل في انغلاق الشفتين عند النطق بالميم الساكنة من (غشيهُمْ) مناسبةً شكليةً مع هيئة انطباق جانبي البحر على فرعون وجنوده، وما ساد من سكون لفّ الكون في تلك اللحظة الفارقة بين الحق والباطل، ثم تعود الآية التالية إلى الإيقاع الأصلي لفواصل القصة: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (طه: ٧٩) فيما يشبه التعليق الختامي للمُشاهِد لتلك الأحداث، وإنما آثر القرآن العودة بإيقاع هذه الفاصلة إلى الإيقاع الأول لارتباط مضمونها بمضمون قصة موسى وفرعون؛ إذ تقابل قول فرعون في سورة غافر: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩).

لقد انتهى بإغراق فرعون وجنوده فصلٌ من فصول الصراع بين الحق والباطل. وعاد إيقاع الفواصل مرة أخرى إلى هيئة المقطع المتوسط الطول المفتوح المنتهي بحركة طويلة (ص ح ح) –وهو الإيقاع الأصلي لفواصل هذه السورة– إذ تحكي الآيات فصلاً آخر من الصراع بين الحق والباطل، لكنه هذه المرة بين موسى والسامري، ولمّا كان موسى –عليه السلام– طرفَ الحق في القصتين كلتيهما جاءت الفواصل في آيات القصتين على نمط واحد.

وفي قوله تعالى في ختام سورة المزمل:﴿...وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل:٢٠) وردت فاصلة هذه الآية مقيدة غير موصولة بالألف بخلاف بقية الآيات السابقة؛ إذ جاءت على هيئة المقطع الطويل المغلق بصامت

(ص ح ح ص)، بخلاف مقاطع فواصل الآيات السابقة جميعها -فيما عدا الآية الأولى التي تمثل تنبيها بالنداء: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل: ١)- إذ وردت الآيات من (٢-١٩) على هيئة المقطع المفتوح المتوسط الطول (ص ح ح) في قوله على سبيل المثال: (قليلا، ترتيلا، ثقيلا، أليما، شيبا).

والملاحظ أن السّورة مكيّة سوى الآية الأخيرة[١]، قال المخللاتي: "مكية، واستثنى ابن عباس وعطاء آية (إن ربك يعلم) إلى آخر السورة فمدنية"[٢]. هذا يرجحه إتيان الآية طويلة شغلت ثلث السورة بخلاف الآيات السابقة التي تتسم بالقصر، كما أنه يزيد في ترجيح ذلك القول أن هذه الآية ناسخة لآيات قيام الليل في بداية السورة ؛ يقول القرطبي : "قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ هذه الآية تفسير لقوله تعالى : ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً. نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾... وهي الناسخة لفرضية قيام الليل"[٣]. ولما كانت هذه الآية ناسخة لتلك الآيات في بداية السورة جاءت مخالفة إيقاعيا للآيات السابقة، إذ وردت فاصلتها مقيدة غير موصولة بالألف بخلاف الآيات السابقة جميعها تأكيدا لكون هذا الحكم في قيام الليل هو الحكم الأخير الناسخ لما قبله، وإيحاءً بأن هذه الطائفة التي تقوم الليل مع النبي ﷺ مآلها رحمة الله، وكأن تلك الفاصلة المقيدة بمقطعها الطويل المغلق (ص ح ح ص) في نهاية السورة بمنزلة الستار الذي يسدل عند انتهاء المشهد؛ "إنها لمسة الرحمة والود والتيسير والطمأنينة تجيء بعد عام من الدعوة إلى القيام"[٤].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، ص٤٨٦ (لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٤م).

(٢) القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، المخللاتي، ص٣٢٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٩ص٥٢.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦ ص٣٧٤٩ (دار الشروق، القاهرة، د.ت.).

***الانفراد بتغير حرف الفاصلة (الروي):**

وذلك بأن يُعدل عن الروي الذي بُنيت عليه الفاصلة إلى روي آخر لا نظير له في السورة. والغالب في هذا النوع ألا يتغير النمط المقطعي للفواصل، إنما يتغير الإيقاع الصوتي للمنطوق، وربما ورد الانفراد بتغيير حرف الفاصلة مع تغيير النمط المقطعي.

ومن ذلك قوله تعالى في آخر سورة الضحى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى: ٩-١١) "وليس في السورة كلها ثاء فاصلة، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق"[١]؛ ولو كان الغرض مجرد مراعاة الفاصلة لعبر القرآن بقوله (فخبر) أو نحو ذلك مما يؤدي هذا المعنى المعجمي ورويه راء. ويستنتج الدكتور أحمد مختار عمر -خلال تناوله هذه الآية- "أن السورة قد تنتهي بفاصلة منفردة الإيقاع تكون كالمقطع الأخير المومئ إلى الانتهاء"[٢]. لكن الناظر في هذه الآيات يتبين له أن البنية الإيقاعية لفواصلها واحدة هي (ص ح ص) سواءً أكان رويُّها راءً أم ثاءً أم أيَّ صامت آخر؛ ومن ثم يظل السؤال عن سر اختيار إتيان الروي المخالف ثاءً - دون غيره من الصوامت- قائمًا، وهذا يدفعنا إلى بيان مدى التغاير الصوتي لهذا الصامت عن صوت الراء (روي الآيات السابقة). ولمَّا كان صوتُ الثاء غيرَ متحقق في الفراغ إنما هو جزء من بنية مفردة معجمية هي كلمة (فحدِّثْ) كان لا بد كذلك من بيان الخصائص المعجمية لهذه المفردة في هذا السياق الخاص (سياق سورة الضحى).

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت الشاطئ، ص٢٥٠.

(٢) دراسات لغوية في القرآن الكريم، د. أحمد مختار عمر، ص٧٧.

فأما على المستوى الصوتي فالثاء "صوت مما بين الأسنان احتكاكي مهموس"[١] والراء "صوت لثوي مكرر مجهور"[٢]. وفي العدول عن الروي المجهور إلى الروي المهموس إيحاء بخفوت الصوت عند التحديث بنعمة الله في خضوع وخشوع دون جلبة وضجيج يجنح بصاحبه إلى العجب والكبر وتزكية النفس؛ إذ إن الخطاب وإن كان للنبي – ﷺ – إلا أن "الحكم عامٌّ له ولغيره"[٣]؛ لذا رُوي أن أبا فراس عبد الله بن غالب كان إذا أصبح يقول: لقد رزقني اللّه البارحة كذا ، قرأت كذا ، وصليت كذا ، وذكرت اللّه كذا ، وفعلت كذا. فيُقال له: يا أبا فراس، إن مثلك لا يقول هذا. فكان يقول: يقول اللّه تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، وتقولون أنتم: لا تحدث بنعمة اللّه[٤].

وأما على المستوى المعجمي فيقول الطاهر بن عاشور: "والتحديث: الإخبار، أي أخْبِر بما أنعم الله عليك اعترافاً بفضله ، وذلك من الشكر"[٥] ولا أرى أن التحديث بمعنى الإخبار؛ إذ إن القرآن "اختار قوله : {فَحَدِّثْ} على قوله فخبر ، ليكون ذلك حديثاً عنده لا ينساه ، ويعيده مرة بعد أخرى"[٦] ، فالتحديث إخبار وزيادة. يقول ابن فارس: " (حدث) الحاء والدال والثاء أصلٌ واحد، وهو

---

(١) الأصوات اللغوية، د.كمال بشر، ص٢٩٨.

(٢) السابق، ص٣٤٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٢٠ص١٠٢.

(٤) انظر: السابق: الصفحة نفسها.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج٣٠ص٤٠٣.

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٣٢ص٢٠٨.

كونُ الشيء لم يكُنْ. يقال حدثَ أمرٌ بَعْد أن لم يكُن. والرجُل الحَدَثُ: الطريُّ السّن. والحديثُ مِنْ هذا؛ لأنّه كلامٌ يحْدُثُ منه الشيءُ بعدَ الشيء"(١).

ففي العدول إلى الفاصلة المنفردة في آخر السورة تقديم لجانب الدلالة على جانب التوافق الصوتي؛ إذ المراد شكر الله عز وجل والتحديث بنعمه شيئًا بعد شيء في خشوع وخضوع واعتراف له – سبحانه وتعالى– بالفضل. يقول الزمخشري: " التحديث بنعمة الله: شكرها وإشاعتها، يريد: ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك"(٢).

ومما ورد رويه منفردًا في آخر السورة كذلك، وليس له نظير في بقية السورة، قوله تعالى في آخر سورة النجم: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ النجم: آية ٦٢؛ فأغلب فواصل السورة مبنية على روي الألف المقصورة وذلك في الآيات من (١–٥٦) نحو: (هوى، غوى، الهوى...) ثم الفاء الموصولة بالهاء في الآيتين (الآزفة٥٧/ كاشفة٥٨) ثم النون المردوفة بالواو في الآيات الثلاث التالية (تعجبون٥٩/ تبكون٦٠/ سامدون٦١) ثم تأتي الفاصلة المنفردة في آخر السورة مبنيةً على روي الدال الموصولة بالواو في قوله (واعبدوا ٦٢).

إن السياق المقامي المتمثل في سبب نزول هذه السورة والسياق المقالي المتمثل في أغراضها كلاهما يفضي إلى كون آخرِها أمرًا بعبادة الله وحده والسجود له دون غيره؛ إذ إن "سبب هذه السورة أن المشركين قالوا إن محمدا

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ج٢ص٣٦ (اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م).

(٢) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج٤ص٧٧٣ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.).

يتقول القرآن ويختلق أقواله فنزلت السورة في ذلك"[1]، كما أن أغراض السورة تدور حول[2]: تحقيق صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن رب العزة - سبحانه وتعالى- وإثبات أن القرآن وحي من عند الله تعالى، وإبطال إلهية أصنام المشركين، وإثبات البعث والجزاء، وإنذارهم بعقاب يحل بهم كما حل بالأمم التي عصت من قبلهم.

والناظر في كلمة الفاصلة بل في هذه الآية التي تحتويها يجد أنها احتوت على فعلي أمر للمشركين (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا)، ولم يسبق في السورة كلها فعل أمر سوى فعل واحد في قوله تعالى مخاطبا النبي ﷺ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (النجم: آية ٢٩) وفيما عدا ذلك وردت الأفعال جميعها بصيغتي الماضي والمضارع. ولمَّا كان سبب نزول السورة قول المشركين إن محمدًا يختلق القرآن جاء أمر اللهِ نبيَّه بأن يعرض عن الكافرين، ولمَّا كان من أغراض السورة ما أسلفنا من إبطال القرآنِ ادعاءات المشركين وافتراءاتهم كانت النتيجة الحتمية أن يؤمروا بالسجود لله وعبادته.

إن هؤلاء الكافرين لمَّا أخذتهم روعة القرآن وقوة برهانه وحسن بيانه لم يستطيعوا إذ سمعوا الأمر بالسجود لله سوى أن يسجدوا خلف رسول الله ﷺ ؛ إذ يروي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:"سَجَد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس"[3]، لكنهم على الرغم من ذلك

---

(١) المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ج٥ص١٧٦ (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج٢٧ ص٨٨-٨٩.

(٣) صحيح البخاري : باب فاسجدوا لله واعبدوا، ج٤ ص١٨٤٢ (دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

كله ظلوا على عنادهم فلم يستجيبوا لأمر الله تعالى بأن يعبدوه وحده لا يشركون به شيئا.

إذن عَدَل القرآن إلى الفاصلة المنفردة في آخر السورة إيثارًا للمعنى على تناسب الإيقاع، وجاءت الفاصلة مخالفة فيما يشبه إسدال الستار في نهاية المشهد، وإيحاءً بأنْ لا قول بعد هذا القول الفصل، ولا حجة لهم بعد كل هذا البيان ألا يسجدوا لله ويعبدوه.

لكن لماذا لم يُظهر القرآن الضمير فيقول (فاسجدوا لله واعبدوه) ففي ذلك عدول إيقاعي كذلك؟

الملاحظ أنه لو جاءت الفاصلة بإظهار الضمير لكانت أقل عدولاً من الفاصلة الحالية التي اختارها القرآن؛ إذ إن الفاصلة آنذاك ستتوافق مقطعيًّا مع الفاصلة في الآيات السابقة (تعجبون، تبكون، سامدون) إذ الهيئة المقطعية لهذه الفواصل هي المقطع الطويل المغلق بصامت: (بون/ كون/ دون: ص ح ح ص) ولو جاءت الفاصلة الختامية (واعبدوه) لكانت هيئتها المقطعية (دوه: ص ح ح ص) موافقة لما قبلها، وحينئذٍ سيقتصر الخلاف بين النوعين في نوع الروي (حرف الفاصلة) إذ الروي في الآيات الثلاث هو النون ، أما الروي في الآية الأخيرة –على هذا الافتراض– فسيكون هاءً.

لكن القرآن اختار الفاصلة الختامية (واعبدوا) لتصبح أشد عدولاً عن الفاصلة السابقة من جهة الإيقاع، وبخاصة أن المعنى مفهوم دون ذكر الضمير؛ إذ المراد "فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا (تلك) الآلهة"[1]. والعدول الإيقاعي من عدة وجوه: أولها: اختلاف الهيئة المقطعية لهذه الفاصلة عن سابقتها ؛ إذ هي (دو: ص ح ح)، وثانيها: اختلاف الروي، إذ هو في الآيات السابقة (نون)

(١) تفسير النسفي، أبو البركات النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، ج٤ص٢٩٥ (دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٥م).

وفي هذه الآية الختامية (دال)، وثالثها: اختلاف نوع الفاصلة؛ ففاصلة الآيات الثلاث السابقة (مردوفة بالواو) في حين أن فاصلة الآية الختامية (مجردة من الردف والتأسيس)، ورابعها: ورود فاصلة الآيات الثلاث غير موصولة، في حين أنها في الآية الختامية موصولة بالواو.

إن هذا العدول الإيقاعي بجهاته المختلفة يوحي بمدى مخالفة ما هم عليه – من عجب وضلال وضحك ولهو– لما يأمرهم الله تعالى به من جد وحق وامتثال لله تعالى بالسجود له وعبادته وحده دون سواه. إنه التباين الذي يصل إلى حد التناقض.

وقد يكون العدول إلى الفاصلة المنفردة مؤكدًا للمعنى المعجمي لكلمة الفاصلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ (سورة الذاريات: الآيات٧–٩)؛ إذ لم ترد الفاء رويًّا لأية فاصلة في السورة كلها سوى الآية الثامنة ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ التي تمثل جوابًا للقسم في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾. فالهيئة المقطعية لهذه الفواصل واحدة هي (بُك، لِف، فِك: ص ح ص) لكن لمَّا كان المراد إثبات مدى اختلاف الكافرين في "محمد ﷺ والقرآن فمن مصدق ومكذب. وقيل : نزلت في المقتسمين. وقيل : اختلافهم قولهم ساحر بل شاعر بل افتراه بل هو مجنون بل هو كاهن بل هو أساطير الأولين. وقيل : اختلافهم أن منهم من نفى الحشر ومنهم من شك فيه. وقيل : المراد عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره"[1] لمَّا كان هذا هو حالهم من الاختلاف جاءت الفاصلة مخالفة إيقاعيًّا من حيث الروي تأكيدًا لهذا الاختلاف الذي ينبئ عن تخبطهم وضلالهم، ولعل هذا التأكيد لمعنى الاختلاف يتوافق مع ورود عدة مؤكدات في الآيات

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٧ص٣٣.

تتمثل في القسم و(إنّ) و(اللام المؤكدة الداخلة في خبر إنّ)، هذا فضلا عن أن اختيار القسم بـــ(السماء ذات الحبك) يؤكد معنى الاختلاف؛ إذ "الحبك جمع حبيكة أي: طرائق النجوم"[1]، فكما أن طرائق النجوم مختلفة متباينة كذلك أقوالهم مختلفة متباينة.

وقد يتحقق انفراد الفاصلة بورود روي اللام مرة واحدة في سورة رويها تتعاقب فيه الميم والنون، ولا ضير في أن يتعاقبا؛ إذ "الميم تكافئ النون"[2] – على حد تعبير أبي سعيد السكري- فنجدهم يقولون: "(أَيْنٌ) و(أَيْمٌ) وهو الحَيَّة، و(غيمٌ) و(غينٌ)"[3]. ومما ورد فيه اللام رويًّا منفردا بين الميم والنون قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة السجدة: آية ٢٣)، وقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة الزخرف: آية ٥٩).

وعلى الرغم من ورود اللام رويًّا منفردًا في الآيتين السابقتين لا دلالة وراء ذلك العدول الإيقاعي؛ إذ إن بني تميم يقولون (إسرائين) بالنون[4]، وبذلك قرأ الحسن والزهري وابن أبي إسحاق[5]. كما أن اللام تعاقب النون ، فقد حكى ابن

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: حبك ج١٠ص٤٠٧ (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.).

(٢) شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد السكري، ضبطه وصححه: خالد عبد الغني محفوظ، ج١ص٤٨ (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م).

(٣) السابق: الصفحة نفسها.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١ص٣٣١.

(٥) انظر: معجم القراءات القرآنية، د. عبد اللطيف الخطيب، ج١ص٨٩ (دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

سيده أنهم يقولون[1]: هو عُنْوان الكتاب وعُلْوان وعُنْيان وعُلْيان وقد عَنْوَنْتُه وعَلْوَنْتُه . وقال اللحياني : أَبَّنْتُه وأَبَّلْته : إذا أثنَيْتُ عليه بعد موته . ويقال : هو على آسالٍ من أبيه وآسان وقد تَأَسَّن أباه وتَأَسَّله : إذا نَزَعَ إليه في الشّبه. وعَتَلْتُه إلى السّجْن وعَتَنْتُه أعْتِله وأَعْتُلُه وأَعْتِنه وأَعْتُنُه. ويقال ارْمَعَلَّ الدّمعُ وارْمَعَنَّ : إذا تَتابَع. ويقال لابنٍ ولابِلٌ وإسْماعينُ وإسْماعيل ، وميكائين وميكائيل، وإسرافيل وإسرافين، وإسرائيل وإسرائين ، وأنْشَد :

قد جَرَت الطّيْرُ أيامنينا

قالت وكُنتُ رَجُلاً فَطينا

هذا ورَبِّ البيتِ إسرائينا

إن ذلك التعاقب بين النون والميم واللام إنما جوزه كون هذه الأصوات تتسم بسمة واحدة هي كونها أصواتًا صامتة "تفصح عن شبه ما بالحركات أو الأصوات الصائتة Vowels من حيث النطق والأداء الفعلي"[2] لكن التقارب بين النون والميم أشد فكلاهما أنفي مجهور، ولا يختلفان إلا في كون الميم شفويًّا والنون أسنانيًّا-لثويًّا، أما اللام فيتفق معهما في كونه مجهورًا، لكنه أقرب إلى النون منه إلى الميم؛ إذ يتفق مع النون في كونه أسنانيًّا-لثويًّا كذلك.

إن هذا التقارب في الأداء الصوتي بين الميم والنون جعلهما يتعاقبان في أكثر فواصل القرآن الكريم، إذ مثّلت النون أعلى نسبة شيوع من حيث ورودها رويًّا في فواصل القرآن إذ وردت (٣١٥٢ مرة) تلتها الميم إذ وردت (٧٤٢مرة)[3]. كما أن التقارب الصوتي بين النون واللام جعلهما يتعاقبان في

---

(١) انظر: المخصص، ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، ج٤ص١٨٩ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

(٢) علم الأصوات، د. كمال بشر، ص ٣٤٥.

(٣) انظر: الفاصلة في القرآن، الحسناوي، ص٢٩٦.

الفواصل – كما تعاقبا في المفردة الواحدة في الأمثلة التي حكاها ابن سيده – لكن تعاقبهما في الفواصل أقل ورودًا من تعاقب الميم والنون.

أما ما ورد فيه الراء رويًّا منفردا في سورة يتعاقب فيها الميم والنون فقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (سورة النحل: آية ٧٠)، وقوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الأحقاف: آية ٣٣). وعلى الرغم من أن الراء تتفق مع النون والميم في كونها من الأصوات الصامتة التي تشبه الحركات عند النطق، وكونها مجهورة، إلا فإنها تتسم بصفة تنفرد بها من دون الأصوات هي (التكرار)، وتلك الصفة جعلت من الراء صوتًا مختلفًا لا يتعاقب مع غيره من الأصوات لا في الكلمة الواحدة ولا في فواصل القرآن. لذلك ففي العدول إلى الروي الراء في هذا الموضع دلالة مرادة، وبخاصة أن كلمة الفاصلة المنفردة واحدة في كلتا السورتين.

أما آية الأحقاف فيحتمل أن تكون على لسان الجن؛ إذ الآيات السابقة تتحدث عن إيمان الجن لما سمعوا القرآن وكيف أنهم عاجوا إلى قومهم يدعونهم إلى الحق. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الأحقاف: الآيات ٢٩-٣٣). إنهم يستنكرون على كفار قريش تكذيبهم بالبعث، "وصياغة القضية في أسلوب الاستفهام والجواب أقوى وآكد في تقرير هذه الحقيقة"[١]، وجملة (إنه على كل شيء قدير) تذييل لبيان قدرته تعالى على خلق السماوات والأرض وإحياء الموتى وغير ذلك من الموجودات. وتأكد الكلام بـــ (إنَّ) لرد إنكارهم أن يمكن إحياء الله الموتى. وجيء في القدرة على إحياء الموتى باسم الفاعل (قادر)، وفي القدرة على كل شيء بالصفة المشبهة (قدير) التي هي أكثر ثبوتًا ودلالة على القدرة من اسم الفاعل[٢]. وإنما عبر القرآن بـــ (قادر) و(قدير) مجاراة لأساليبهم في التعبير، ولكون الحديث عن الكافرين المنكرين حقيقة البعث.

إن سياق إنكار البعث ناسبه الإتيان بذلك التذييل (إنه على كل شيء قدير)، ومن ثم جاءت كلمة الفاصلة (قدير) دون غيرها؛ إيثارًا لجانب المعنى على جانب تناسب الإيقاع. فالتعبير بالقدرة مراد في هذا السياق كما بيَّنا، كما أنه يعد تذييلا في ختام حديث هؤلاء النفر من الجن، وقصة إيمانهم جاءت معترضة فناسبها أن تختم بفاصلة مختلفة إشارة إلى انتهاء حديثهم. هذا فضلا عن أن العدول إلى فاصلة منفردة يراد منه إحداث تحول مفاجئ في الإيقاع لكي يتنبه المخاطب إلى خصوصية الآية التي يقع فيها ذلك الانفراد، ومن ثم يلتفت إلى ما فيها من معنى مراد خلف ذلك التحول الإيقاعي.

وأما آية سورة النحل ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (سورة النحل: آية ٧٠) فعدل فيها القرآن إلى روي الراء في سورة يتعاقب فيها الميم والنون أيضًا، ولعله من الجلي أنه لو كان مراد القرآن مراعاة التناسب في الإيقاع لقدم (قدير)

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦ ص٣٢٧٤.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج٢٦ ص٦٥.

وأخر (عليم) فتتوافق بذلك الفواصل ويطرد الإيقاع. لكن شيئًا من ذلك لم يكن؛ لأن مراعاة المعنى في القرآن مقدمة على تناسب الإيقاع، فقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) تذييل يُراد منه إثبات عظم قدرة الله "وقدَّم وصف العليم لأن القدرة تتعلّق على وفق العلم، وبمقدار سَعة العلم يكون عظم القدرة، فضعيف القدرة يناله تعب من قوة علمه لأن همّته تدعوه إلى ما ليس بالنائل، كما قال أبو الطيّب :

وإذا كانتِ النُّفُوسُ كِبارًا تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسَامُ"[1]

فالعلم سابق على القدرة، والعلم بغير قدرة علمُ العاجز الذي لا يقدر على تحصيل المصالح ودفع المفاسد، والقدرة بغير علم قدرة الجاهل الذي لا يفرق بين المصلحة والمفسدة. كما أن في التذييل بذكر صفتي العلم والقدرة مناسبةً لما قبلهما؛ إذ إنه لمـــَّا ذكر الله – تعالى- "ما يعرض في الهـــَرَم من ضعف القوى والقدرة وانتفاء العلم، ذكر علمه وقدرته اللذين لا يتبدلان ولا يتغيران ولا يدخلهما الحوادث، ووليت صفة العلم ما جاورها من انتفاء العلم"[2]. ولعله لمَّا كان أكبر أغراض السورة "الدلالة على تمام القدرة وشمول العلم والتنزه عن كل شائبة نقص"[3] أُريد العدول الإيقاعي عن روي الميم والنون إلى روي منفرد هو (الراء) للفت الانتباه إلى أهمية التذييل بإثبات العلم والقدرة لله – عز وجل-

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج١٤ص٢١٣، وانظر: ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، ج٤ص٤٨ (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج٥ ص٤٩٨.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ج٤ص٢٨٩ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

فهو "بالغ العلم شامل القدرة، فمهما أراد كان، ومهما أراد ولم يرده هو أحاط به علمه، فسبَّب له بقدرته ما يمنعه"[١]. فالعدول في الإيقاع إنما هو لمراعاة جانب المعنى وللفت الانتباه إلى أهميته.

***الانفراد بسناد الردف أو التأسيس:**

من المعلوم أن السناد يعني "اختلاف ما يجب التزامه قبل الروي من الحروف والحركات"[٢] وهو على خمسة أقسام اثنان منها باعتبار الحروف هما (سناد الردف وسناد التأسيس)، وثلاثة باعتبار الحركات هي (سناد الحذو وسناد الإشباع وسناد التوجيه). وسنقتصر – هنا – على الضرب الأول من السناد وهو ما كان باعتبار الحروف؛ إذ التغير الإيقاعي فيه جليّ واضح، في حين أن سناد التوجيه وسناد الإشباع لا أثر لهما على اطراد إيقاع الفواصل؛ لذا وقع الخلاف بين العروضيين في كون هذين النوعين من عيوب القافية.

أما سناد التوجيه – وهو اختلاف حركة ما قبل الروي الساكن[٣]– ففيه مذاهب؛ "قال الأخفش إنه ليس بعيب مطلقًا، وذهب الخليل إلى جواز الاختلاف بالضمة والكسرة لا غير"[٤]. وقد بنى الأخفش رأيه على اعتبار كثرته في أشعار العرب، "وقد اختار رأيه كثرة من العلماء، لاعتماده على المروي من

---

(١) السابق، ج٤ص٢٩٠.

(٢) التوجيه الوافي بمصطلحات العروض والقوافي، محمد يوسف علي العثماني، ص٣٢ (طبعة الهند، ١٨٨١م/١٢٩٩هـ).

(٣) انظر: التوجيه الوافي بمصطلحات العروض والقوافي، محمد يوسف العثماني، ص٣٣.

(٤) التوجيه الوافي بمصطلحات العروض والقوافي، محمد يوسف العثماني، ص٣٣.

أشعار العرب، فللشاعر أن يوجه الحرف السابق للروي المقيد إلى أي جهة شاء من الحركات، ولذا سمي بالتوجيه"[١]، ولمَّا كان مبنى الفواصل القرآنية على الوقف كثُر هذا النوع من السناد في الفواصل كذلك. كما أنني لا أرى اختلافًا إيقاعيًّا بين (أحَد، والصمَد، ويلِد) في سورة الإخلاص؛ إذ البناء المقطعي لهذه الفواصل واحد هو: (حَد، مَد، لِد: ص ح ص)، ولا نكاد نلحظ الخلاف الصوتي بين الفتحة والكسرة التي قبل الروي؛ لذا لا يعد مثل هذا النوع من السناد عدولا إيقاعيًا.

وأما سناد الإشباع – وهو اختلاف حركة الدخيل الذي يفصل بين التأسيس وحرف الروي[٢]– فهو موضع خلاف بين العروضيين[٣]. والذي نميل إليه أنه لا يعد عيبا؛ لأنه "لا يؤثر على موسيقى القافية بشكل واضح، فضلا عن وقوعه من كثرة من الشعراء"[٤]. وما ينطبق هنا على القافية ينطبق على الفاصلة القرآنية؛ ومن ثم لا يُعد التغير في حركة الدخيل في الفاصلة عدولا إيقاعيًّا.

وأما سناد الحذو – وهو اختلاف حركة ما قبل الردف بالفتحة والكسرة أو بالفتحة والضمة[٥]– فلا يتحقق إلا إذا حدث خلل في الردف نفسه إما بالجمع

---

(١) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، د.شعبان صلاح ، ص٣٢٢ (دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٥م).

(٢) انظر: التوجيه الوافي بمصطلحات العروض والقوافي، محمد يوسف العثماني، ص٣٣، و: موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، د. شعبان صلاح، ص٣١٩.

(٣) انظر: موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، د. شعبان صلاح، ص٣١٩.

(٤) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، د. شعبان صلاح، ص٣١٩.

(٥) التوجيه الوافي بمصطلحات العروض والقوافي، محمد يوسف العثماني، ص٣٣.

بين الألف مع الواو أو الياء، أو بالجمع بين حرف العلة وحرف اللين، أو بالجمع بين حرف صحيح وحرف علة. بيان ذلك أن ألف المد أوضح في السمع من حرفي المد الآخرين[١]، أما حرفا اللين فقد عدَّهما أستاذنا الدكتور شعبان صلاح في حكم الحرف الصحيح[٢].

وخلاصة الأمر إذن أن الردف "حرف مد يسبق الروي، فإذا جاء مع حرف المد حرف آخر صحيح، أو وقعت الألف مع أي من الحرفين: الواو أو الياء، فهذا هو سناد الردف، ولا مجال إذن لما يسمى بسناد الحذو"[٣]. إن سناد الحذو تابع لسناد الردف، فهناك تلازم بينهما. لذلك كله يعد تناول الانفراد بسناد الردف في فواصل القرآن تناولا لسناد الحذو كذلك.

وقع سناد الردف في بضع آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة الحج: آية ١٨) إذ وردت آيات السورة مردوفة بالواو أو الياء سوى هذه الآية مردوفة بالألف، وبذلك تعد فاصلة هذه الآية فاصلة منفردة. ولو كان الأمر مجرد مراعاة تساوي المقاطع وتناسب الفواصل لعبر القرآن بالفعل (يريد) بدلا من الفعل (يشاء) لتتساوى المقاطع ويطّرد الإيقاع مع فواصل الآيات السابقة: (بعيد –يريد – شهيد)، وبخاصة أن الآية الرابعة عشرة من هذه السورة

---

(١) انظر: موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ص٢٧٠ (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م).

(٢) انظر: موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، د. شعبان صلاح، ص٣١٤.

(٣) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، د. شعبان صلاح، ص٣١٥.

عبر القرآن فيها بقوله: (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (سورة الحج: آية ١٤). إن العدول عن التعبير بالفعل (يريد) إلى التعبير بالفعل (يشاء) لا شك يصرف الانتباه إلى ضرورة بيان الفروق الدلالية بين الفعلين ومناسبة كل منهما لسياق آيته.

يفرق ابن تيمية – رحمه الله – بين الإرادة والمشيئة بقوله: "الإرادة في كتاب اللَّه نوعان : إرادة دينية شرعية وإرادة كونية قدرية: فالأول كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) فإن الإرادة هنا بمعنى المحبة والرضا وهي الإرادة الدينية. وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ . وأما الإرادة الكونية الْقَدَرِيَّةُ فَمِثْلُ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ وَمِثْلُ قَوْلِ المسلمين: ما شاء اللَّه كانَ وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ . فجميع الكائنات داخلة في هذه الإرادة والمشيئة لا يخرج عنها خير ولا شر ولا عُرْفٌ ولا نُكْرٌ، وهذه الإرادة والمشيئة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي، وأما الإرادة الدينية فهي مطابقة للأمر الشرعي لا يختلفان"[1].

إذن الإرادة الكونية مرادفة للمشيئة، قد يحبها الله تعالى ويرضاها، وقد لا يحبها الله تعالى ولا يرضاها، ولا بد من وقوعها. أما الإرادة الشرعية فيحبها

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، ج١٨ ص١٣٢ (دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م).

الله تعالى ويرضاها لعباده، لكن العبد قد يمتثلها فيأتي ما يوافق مراد الله الشرعي، وقد لا يمتثل فلا يأتيه.

إن الإرادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (سورة الحج: آية ١٤) إرادة كونية مرادفة للمشيئة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة الحج: آية ١٨) من حيث ضرورة الوقوع. لكن على الرغم من هذا الترادف عبر القرآن بالإرادة في الأمر الذي يرضاه الله ويحبه وهو إدخال الذين آمنوا الجنات، وتأكد ذلك في التعبير بفعل الإرادة الكونية كذلك في الآية السادسة عشرة من السورة نفسها: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ (الحج: آية ١٦) لمَّا كان الهدى أمرًا يحبه الله تعالى ويرضاه لعباده. في حين عدل القرآن عن فعل الإرادة الكونية في الآية الثامنة عشرة – مع إمكانه – لكي تتحقق المخالفة بين إرادة الله لأمر يحبه ويرضاه وأمر لا يحبه ولا يرضاه لعباده وهو هوان من أهانه الله؛ لقد حق عليه العذاب بإرادة الله الكونية ومشيئته فكان أهلا للهوان وعدم الإكرام .

عبر القرآن إذن بالمشيئة في موطن يمكن فيه التعبير بالإرادة الكونية لكي تتحقق المخالفة بين ما يرضاه الله لعباده وما لا يرضاه لهم، وتأكدت المخالفة بالعدول الإيقاعي إلى الفاصلة المنفردة بسبب سناد الردف، ولا شك أن هذا الانفراد في إيقاع الفاصلة يُعدّ سببًا رئيسًا في لفت الانتباه إلى ما وراءه من مخالفة دلالية مرادة.

ومن الفواصل المنفردة بسبب سناد الردف قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب: آية ١٣) إذ وردت آيات السورة مردوفة بالواو أو الياء سوى هذه الآية مردوفة بالألف. إن هؤلاء المنافقين لا يؤمنون بقضية المسلمين ولا يدينون بدينهم وعلى الرغم من ذلك يظهرون الإيمان، ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (الأحزاب: آية ١٥) فلما حان الحَين استأذنوا بحجة أن بيوتهم مكشوفة للعدو. لم يكن هناك بُدٌّ من أن يفضحهم القرآن ويكشف حقيقتهم، فجاءت جملة (وما هي بعورة) مؤكدة بالباء الزائدة، وجملة (إن يريدون إلا فرارا) على جهة النفي والاستثناء لإفادة القصر، ليقابِل التوكيدُ والقصرُ توكيدَهم بإنَّ في قولهم (**إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ**) فينتفي زعمهم ويظهر كذبهم، فهم إنما يريدون الفرار من القتل.

وإمعانا في تنبيه الناس إلى حقيقتهم وفضحهم عَدَلَ القرآن إلى الفاصلة المنفردة لكي تُحدِثَ صدمةً إيقاعيةً في آذان المستمعين فيتنبه الغافل إلى حقيقة هؤلاء المنافقين ويظهر له كذبهم وجبنهم.

أما ما تحقق فيه انفراد الفاصلة بسبب سناد التأسيس فمنه فاصلة الآية السابعة في قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا* فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا* وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا* فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا* فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا* عُذْرًا أَوْ نُذْرًا* إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ (سورة المرسلات: الآيات ١-٧). إذ تراوحت فواصل السورة بين الفاصلة المجردة من الردف والتأسيس والفاصلة المردوفة، سوى هذه الآية التي وردت فاصلتها مؤسسة.

إنه لمّا كان الكفار يكذبون بيوم الدين أقسم الله -عز وجل- على أنه واقعٌ لا محالة فجاء جواب القسم: "(إِنَّمَا تُوعَدُونَ): أي من الجزاء بالثواب والعقاب ، (لَوَاقِعٌ): وما موصولة ، وإن كانت قد كتبت موصولة بإنّ"[1]، وإمعاناً في تكذيب هؤلاء الكفار وتأكيدًا على حتمية وقوع الجزاء يوم القيامة أكدَّ القرآن تلك القضية بعدة مؤكدات هي القسم و(إنَّ) ولام التوكيد الداخلة على خبر إنّ، وجاءت فاصلة الجواب مخالفةً فواصل السورة جميعها من حيث سناد التأسيس والروي كذلك؛ وذلك لكي يقرع إيقاعُ هذه الفاصلة المنفردة آذانَ هؤلاء الكفار ليتنبهوا إلى حتمية هذه العاقبة التي هم صائرون إليها لا محالة. وإذا ما تنبهوا إلى ذلك تأتي الآيات اللاحقة لتفصّل ذلك الإجمال: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (سورة المرسلات: الآيات ٨-١٥).

إن "هذه السورة حادة الملامح ، عنيفة المشاهد ، شديدة الإيقاع ، كأنها سياط لاذعة من نار. وهي تقف القلب وقفة المحاكمة الرهيبة ، حيث يواجه بسيل من الاستفهامات والاستنكارات والتهديدات ، تنفذ إليه كالسهام المسنونة. وتعرض السورة من مشاهد الدنيا والآخرة ، وحقائق الكون والنفس ، ومناظر الهول والعذاب ما تعرض . وعقب كل معرض ومشهد تلفح القلب المذنب لفحة كأنها من نار: (ويل يومئذ للمكذبين). ويتكرر هذا التعقيب عشر مرات في

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ج٨ ص٣٩٦.

السورة. وهو لازمة الإيقاع فيها. وهو أنسب تعقيب لملامحها الحادة، ومشاهدها العنيفة، وإيقاعها الشديد"[1] .

لقد انكسر هذا الإيقاع الشديد في جملة جواب القسم (إنما توعدون لواقع) من جهتين لا من جهة واحدة؛ من جهة الروي (العين) الذي هو "من أنصع الأصوات أي أوضحها"[2]، ومن جهة سناد التأسيس؛ لتتحقق بذلك صدمة إيقاعية تقرع آذان هؤلاء المنكرين فيتنبهو إلى أهمية هذا الجواب المجمل بما يحمله من حتمية وقوع الجزاء يوم القيامة، وليتنبهوا كذلك إلى ما تلا هذا الإجمال من تفصيل وبيان في الآيات اللاحقة.

* *

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦ ص ٣٧٨٩.

(٢) انظر: البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، ص ١٨٩ (عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م).

*خاتمة:

- عرف البحث الفاصلة المنفردة بأنها تلك الفاصلة التي ليس لها نظير في بقية السورة من حيث: الإطلاق والتقييد، أو حرف الروي (حرف الفاصلة)، أو الردف، أو التأسيس.
- أشار البحث إلى أن انفراد الفاصلة قد يتحقق بأحد تلك الأنواع السابقة أو باجتماع بعضها في فاصلة واحدة.
- أكّد البحث أن هذا الانفراد لو وقع في قافية الشعر لعُدَّ عيبًا، إلا أنه لا يُعد عيبًا في الفاصلة. بل إنّ وقوعه في الفاصلة إنما يكون لدلالات أو إيحاءات مرادة يؤكدها سياق السورة بشقيه: السياق المقالي للآيات السابقة واللاحقة، والسياق المقامي المتمثل في أسباب النزول وأحوال المخاطبين ونحو ذلك.
- انصرف البحث إلى الوقوف على تلك الدلالات الكامنة خلف ذلك التحول الإيقاعي المفاجئ إلى الفاصلة المنفردة، أو الإشارة إلى إيحاءاته الموسيقية على أقل تقدير؛ على اعتبار أن (الإيحاء) ضرب من (الدلالة). ومن تلك الدلالات:

١. **الإيحاء بالمخالفة الدلالية التي تتوافق مع المخالفة في الإيقاع**؛ نحو تأكيد أن سبيل الحق يخالف سُبل الضلال فتأتي الفاصلة مخالفة لتلك السبل إيقاعيا – في سورتي الفرقان والأحزاب – لتتأكد المفارقة بين النوعين.

٢. **العدول إلى الفاصلة المقيدة ليتناسب هذا الإيقاع المغلق المنتهي بالصامت مع المعنى الدلالي للآيات**؛ كما في سياق التهديد والوعيد للوليد بن المغيرة بقطع رجائه ونقصان ماله الذي ناسبه أن تأتي الفاصلة في قوله تعالى ﴿ أَنْ أَزِيدَ ﴾ منفردةً عن غيرها من فواصل ذلك الجزء من السورة؛ إذ جاءت على

هيئة المقطع الطويل المغلق (زِيد: ص ح ح ص) ؛ وبذلك يتناسب نقصان ماله وجاهه مع هذا الإيقاع المغلق المنتهي بالصامت.

٣. **انكسار الإيقاع لمناسبة كسر المألوف من نواميس الكون**، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، فمفارقة هذه الآية لجميع آيات السورة إيقاعيا بورودها غير موصولة بالألف بخلاف بقية الآيات، ترجح كون المراد بـــ(السميع البصير) في هذه الآية هو النبي ﷺ ، وبخاصة أن كلمة (بصيرا) وردت فاصلة نكرة موصولة بالألف ثلاث مرات في السورة نفسها وكلها صفات لله تعالى. وهذا الترجيح الدلالي يتوافق مع السياق المقامي الذي يثبت للنبي ﷺ بصرًا خارقًا، كما هو موضح في البحث.

٤. **العدول إلى المقطع المغلق المنتهي بصامت، فيما يشبه إسدال الستار في نهاية المشهد الختامي للقصة**، كما في قوله تعالى في نهاية قصة موسى مع فرعون: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ .

٥. **ترجيح مدنية الآية التي تحتوي على فاصلة منفردة مخالِفةً لفواصل بقية الآيات المكية**، كما في الآية الأخيرة من سورة المزمل. فضلا عن كونها توحي بإسدال الستار في نهاية السورة.

٦. **اختيار الروي المهموس إيحاء بخفوت الصوت عند الحديث**، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ . فضلا **عن إرادة المعنى المعجمي لكلمة الفاصلة** فالتحديث إخبار وزيادة؛ إذ هو شكر الله عز وجل والتحديث بنعمه شيئًا بعد شيء في خشوع وخضوع واعتراف له – سبحانه وتعالى– بالفضل.

٧. **العدول إلى الفاصلة المنفردة المخالفة لبقية فواصل السورة لتأكيد المعنى المعجمي لكلمة الفاصلة**، كما في قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ .

٨. **إحداث تحول مفاجئ في الإيقاع لكي يتنبه المخاطب إلى خصوصية الآية التي يقع فيها ذلك الانفراد**، ومن ثم يلتفت إلى ما فيها من معنى مراد خلف ذلك التحول الإيقاعي.

* *

***المصادر والمراجع:**

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، د. ت.).
- الإعجاز البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت الشاطئ، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م).
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م).
- البحر المديد، أحمد بن محمد بن عجيبة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م).
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م).
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، (لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٤م).
- البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م).
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م).
- تفسير النسفي، أبو البركات النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، (دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٥م).
- التوجيه الوافي بمصطلحات العروض والقوافي، محمد يوسف علي العثماني، (طبعة الهند، ١٨٨١م/١٢٩٩هـ).
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، (دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

- دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، د. عبد الجواد محمد طبق، (دار الأرقم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م).
- دراسات لغوية في القرآن الكريم، د. أحمد مختار عمر، (عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م).
- ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- روح المعاني، الألوسي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.).
- سنن أبي داود، (دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.).
- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، (دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت.).
- شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد السكري، ضبطه وصححه: خالد عبد الغني محفوظ، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م).
- صحيح البخاري، (دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- صحيح مسلم، (دار الجيل ، بيروت، د. ت).
- علم الأصوات، د. كمال بشر، (دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م).
- الفاصلة في القرآن الكريم، محمد الحسناوي، (دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م).
- فواصل الآيات القرآنية، د. كمال الدين المرسي (المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م).
- فواصل الآيات القرآنية: دراسة بلاغية دلالية، د. السيد خضر (مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م).
- في ظلال القرآن، سيد قطب، (دار الشروق، القاهرة، د.ت.).

- القافية تاج الإيقاع الشعري، د. أحمد كشك، (دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٤م).
- القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، الشيخ رضوان المخللاتي، تحقيق: عبد الرازق إبراهيم موسى، (طبعة وزارة الإعلام، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- الكشاف، الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.).
- لسان العرب، ابن منظور، (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.).
- اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير استيتية، (عالم الكتاب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، (دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م).
- المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م).
- المخصص، ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- معاني القرآن، الأخفش، تحقيق: د. هدى قراعة، (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م).
- معاني القرآن، الفراء (عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م).
- معجم القراءات القرآنية، د. عبد اللطيف الخطيب، (دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م).

- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، (اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م).
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.).
- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م).
- موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، د.شعبان صلاح ، (دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٥م).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

* * *